

عداء اليهود للإسلام والمسلمين

الدكتور عمار لبيد إبراهيم أحمد
كلية الاداب - الجامعة الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ دراسة تاريخ العداء اليهودي للإسلام والمسلمين، والتذكير المستمر به، واجب شرعي ووطني وقومي. ذلك لان الله ﷻ وضعهم في مقدمة الأعداء التاريخيين للأمة

المسلمة حين قال ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ

أَشْرَكُوا﴾ [سورة المائدة الاية: 82] وحدّثنا عن عدائهم لنا أكثر من حديثه لنا عن

الشیطان الرجيم.

ولأننا حينما غفلنا عن كيدهم ومكرهم، ونحن في قمة التفوق والانتصار، تسببوا في

فتنٍ مدمرةٍ داخل صفنا، ما زلنا نعاني آثارها إلى اليوم.

ولأنهم كانوا وراء قتل خيرة قادتنا وعلى رأسهم رسولنا محمد ﷺ، وعدد من خلفائه

الراشدين ﷺ.

ولأنّ عداءهم لم ولن ينته، فما تزال أرضنا ومقدساتنا مغتصبة، تدنّسها أقدامهم، ولا

يزالون خلف كلّ مصيبة تحلّ بأمّتنا.

ولأنَّ عدداً مِمَّنْ يدَّعون أنَّهم يُمثِّلون الأُمَّة، باركوا لهم في اغتصابِ بيتِ المقدسِ وأكنافه وطالبوا شعوبهم بحُبِّ اليهودِ ومصادقتهم، وعاقبوا بِشِدَّةٍ من تمسَّكَ بمبادئه، وردَّ الآياتِ التي تصوِّرُ عداؤهم.

وقد قسمتُ البحثُ على ثلاثة مباحثٍ وخاتمة:

كان المبحث الأول بعنوان (العداء اليهودي للإسلام والمسلمين منذ أقدم العصور) والثاني بعنوان (العداء اليهودي للإسلام والمسلمين كما تصوره السيرة النبوية) والثالث بعنوان (العداء اليهودي للإسلام والمسلمين بعد وفاة النبي ﷺ).

ثم أنهيته بخلاصة وأهم النتائج التي وردت في البحث فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع.

وأسأل الله سبحانه وتعالى، أن يجعل جهدي هذا خالصاً في سبيله، وإن ينفع به، وأن يغفر لي الخطأ والزلل.

المبحث الأول

العداء اليهودي للإسلام والمسلمين

منذ أقدم العصور

عداء اليهود للإسلام والمسلمين، لم يبدأ من بعثة محمد ﷺ، وإنما بدأ منذ نشأتهم الأولى، زمن أبيهم يعقوب عليه السلام، حيث عادوا دينه، وتخلّوا عن مبادئه، وأجمعوا على قتل أخيه يوسف عليه السلام، الذي كان ما يزال طفلاً صغيراً.

ومعاداة بني إسرائيل لدين يعقوب هي معاداة للإسلام، ومحاولتهم قتل أخيهم خروجاً على مبادئه، ذلك لأن يعقوب، ويوسف وموسى وداود وسليمان وعيسى (عليهم السلام) وغيرهم من الأنبياء كلهم مسلمون، دعوا إلى الإسلام، وليسوا يهوداً أو نصارى كما يدّعي اليهود والنصارى، يقول تعالى عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام،

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴾⁽¹⁾ ويقول سبحانه مبيناً أن الإسلام هو دين إبراهيم والأنبياء من ذريته

﴿ وَمَنْ يُرِغِبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ ﴾ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ *

وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا

تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ

مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ ﴾⁽²⁾. ويبين سبحانه أن يوسف عليه السلام كان مسلماً بقوله تعالى ﴿ رَبِّ قَدْ

آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمَتْنِي مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ

وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٣﴾ .
 ويقول ﷺ مبيناً أن موسى عليه السلام كان يدعو قومه إلى الإسلام ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ
 إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (4).

ويتضح إن دين سليمان عليه السلام كان أيضاً الإسلام من خلال قول الله تبارك وتعالى
 ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ
 وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (5).
 وعندما آمنت ملكة سبأ بدين سليمان ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ
 سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (6).

كما بين جلَّ وعلا أن عيسى عليه السلام، وحوارييه كانوا مسلمين بقوله ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ
 عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ
 آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (7) ويردُّ سبحانه على الذين يجادلون في حقيقة إسلام
 رسله بقوله ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ
 نَصَارَى قُلِ اتَّبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَاتَّبِعُوا أَمْرَ رَسُولِهِ ذَلِكَ هُوَ الصِّرَاطُ الْقَدِيمُ الَّذِي أَنشَأَ اللَّهُ لِقَوْمِهِ
 إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٨﴾ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (8).

فليس بين ما جاء به الأنبياء والرسل أي اختلاف في العقيدة إذ جميعها دعا إلى
 توحيد الله تعالى، والاختلاف هو فقط في الشريعة ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا ﴾ (9).

وهذا يعني أن عداة اليهود للإسلام والمسلمين قديم، إذ أنهم كذبوا رسلهم
 المسلمين، وجادلوهم وآذوهم، وقتلوهم، وقتلوا أتباعهم المسلمين الذين آمنوا معهم، والقران

مليء بالآيات التي تصوّر هذا العداء، الذي لم يسلم منه أبوهم يعقوب، وأخوهم يوسف، حيث دفعتهم نفوسهم المريضة التي أكلها الحسد والغيرة إلى اتخاذ قرارٍ بالتخلّص من أخيهم يوسف الذي كان ما يزال طفلاً صغيراً.

وهذه الجريمة من أسفلٍ وأعجبِ جرائم التاريخ، وأكثرها دلالةً وتعبيراً عن نفسية بني إسرائيل التي تأصل الشرّ فيها وتوارثته إلى يومنا هذا، فسببت لهم غضبُ الله وانتقامه، وغضب كل الشعوب التي خالطوها، وانتقامها.

والعجيب في هذه الجريمة، هو أن يُجمع عشرة إخوة بالغين كبار بعد تشاورٍ وتفكيرٍ على التخلّص من أخيهم الطفل الصغير، دون أن يشدّ منهم أحد، ومن غير ذنب ارتكبه، ودون مراعاة لشيخوخة أبيهم وتقدير لنبوته، وخوفٍ من بطش الله، بل إنهم يصفون أباهم النبيّ بأنّه في ضلالٍ مبين ﴿إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَيَحْسَبُ أَنَّ أَبَاهُمْ نَبِيٌّ بَاطِلٌ﴾ (10).

وبعد أن نفّذوا جريمتهم، وألقوا أخاهم في البئر، جاءوا جميعاً، ليعبروا عن صفتهم الخالدة المتوارثة وهي الكذب والخداع ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (11).

ويستمر التزوير والكذب فيصفون يوسف عليه السلام - الصديق الذي طهره الله - بالسرقة والخيانة ﴿قَالُوا إِنِّي سَرِقْنَا فَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (12).

ويتواصل مسلسلُ العداة اليهودي للإسلام والمسلمين في قصة موسى عليه السلام، مع بني إسرائيل الذي بُعثَ في حدود سنة (1290 ق.م) ⁽¹³⁾ وخلصهم من استعباد فرعون لهم، واستحيائه نساءهم وقتله أبناءهم ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ⁽¹⁴⁾.

ولم نُقرِّبهم من الله تعالى المعجزات الإلهية الكبرى، كتحويل عصا موسى عليه السلام إلى حية تسعى، وكشق البحر بضربة من عصاه، ونجاتهم وإغراق فرعون وجنوده، وطالبوا موسى بآلهة يعبدونها، عندما مروا بقوم يعبدون الأصنام ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ⁽¹⁵⁾.

ومن قصة موسى الطويلة والمتكررة في القرآن الكريم، تتبين أخلاق اليهود، وصفاتهم المتأصلة في نفوسهم، والتي تسببت في عدائهم التاريخي للإسلام والمسلمين، فهم أصحاب هوى وجدال وكبر وعناد وجبن وحرص على الحياة، لا يزيل أحقادهم وعدواتهم أو يغير في صفاتهم إحسان إليهم أو سلام معهم فما أكثر نعم الله عليهم وآياته وحمله عليهم، لكنهم لم يقابلوا ذلك إلا بالجحود والطغيان ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَبَدَّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ⁽¹⁶⁾.

وكانت النهاية أن عذبهم الله بشتى صنوف العذاب ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ⁽¹⁷⁾.

ولم تنقطع النبوة في بني إسرائيل بموت موسى عليه السلام، ولم يُغير في سلوكهم وعدائهم لدين الله، ما حلَّ بهم من عقاب، إذ استمروا في الكفر، وتطوَّروا الشر والسوء في

نفوسهم حيث صاروا يقتلون أنبياءهم واشتهروا بذلك، ولم تسبقهم أمة من الأمم لهذه الجريمة الدنيئة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (18). فسلط الله عليهم مزيداً من العقاب والتشريد والإهانة من مختلف الأمم ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أُنْثَىٰ مِمَّا تَقِفُوا إِلَىٰهَا يَجُوبُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (19).

واستحقوا لعنة الله سبحانه ﴿فَمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (20) ولعنهم رسلهم أيضاً ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (21).

والدرس الكبير الذي يعلمه القرآن الكريم لأمة العرب، هو أن اليهود يعادون المؤمنين منهم بشكلٍ خاص ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ (22) فهو سبحانه لم يذكر أنهم شديداً العداوة للعرب، بل أكد أن عداوتهم الشديدة للمؤمنين منهم، لذلك نجدهم يتحالفون مع العرب غير المؤمنين في غزوة الأحزاب ضد العرب المؤمنين، وعدوا وثنية العرب التي كانوا يسخرون منها بالأمس خيراً من دين محمد ﷺ الذي كانوا يبشرون به قبل بعثته، ويتوعدون العرب بمناصرتهم والنصر عليهم (23).

وقد ناصر الكفار والمنافقون من العرب اليهود أيضاً في مواقف كثيرة، حيث لم يستطع زعيمهم عبدالله بن أبي سلول، أن يكتف حبه لليهود بني قينقاع، عندما نزلوا على

حكم الرسول ﷺ، بعد حصاره لهم، وألحَّ على الرسول ﷺ، أن يعفو عنهم ولا يقتلهم، وعندما أعرض عنه الرسول ﷺ ((أدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ، فقال له: أرسلني، وغضب رسول الله ﷺ، حتى رأوا لوجهه ظللاً⁽²⁴⁾ ثم قال: وَيَحْكُ أَرْسَلْنِي قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَرْسَلُكَ حَتَّى تُحْسِنَ فِي مَوَالِي. أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود⁽²⁵⁾، وتحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخش الدوائر، فقال رسول الله ﷺ هم لك))⁽²⁶⁾ فنزل فيه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ * قَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾⁽²⁷⁾.

ووقف عبادة بن الصامت موقفاً آخر يُمثل العربي المؤمن، الذي لا يحمل في قلبه أي حُبٍّ لمن عادوا الله ورسوله على الرغم من أن قومه كانوا في حلفٍ مع يهود بني قينقاع، مثل حلف عبدالله بن أبي معهم، حيث مشى إلى رسول الله ((فخلعهم إلى رسول ﷺ، وتبرأ إلى الله ﷻ، وإلى رسول الله ﷺ من حلفهم، وقال يارسول الله، أتولى الله ورسوله ﷺ، والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم))، فاستحقَّ عبادة إنَّ يتلى فيه قرآنا يتلى⁽²⁸⁾ ﴿وَمَنْ يُتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾⁽²⁹⁾ ويكرر مناقفوا العرب، وعلى رأسهم ابن سلول الموقوف، وَيَعِدُونَ يَهُودَ بني النضير بأن يقاتلوا معهم وينصروهم إذا تعرضوا لقتالٍ من المسلمين، وأن يخرجوا

معهم إذا ما أخرجوا، ولم يمنع هؤلاء من نصرتهم إلا الجبن والضعف⁽³⁰⁾، وقد عدّ القرآن الكريم المنافقين العرب إخوة لليهود ﴿الْمُتَرَالِي الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ شَهِدٌ لَّهُمْ لَكَادِبُونَ﴾ * لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُؤَيِّنَنَّ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾⁽³¹⁾.

وسياق الآيات التي في مطلع سورة الإسراء تجعلنا على يقين من مهمة التحرير العظيمة التي تنتظر المؤمنين المجاهدين الذين طهرّ الوضوء أيديهم، ونصرّ السجود لله جباههم والأمل كبير في الطلائع المؤمنة التي تملأ عالمنا الإسلامي والعربي، يقول تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾⁽³²⁾ وقد حدثت المرة الأولى بعد عهد سليمان عليه السلام، حيث علا بنو إسرائيل وأقاموا مملكة على أرض فلسطين، لكنهم انحرفوا عن دين سليمان، وأفسدوا في الأرض⁽³³⁾، والمرة الثانية هي علوهم الكبير الذي يشهده هذا العصر، ولا شك أنهم قد أفسدوا، فهم منحرفون عن دين أنبيائهم، وملأ الأرض فسادهم. ثم قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾⁽³⁴⁾ والجيش الذي دمر مملكة اليهود، في المرة الأولى هو جيش نبوخذنصر، وقد قديم من العراق سنة 597 ق.م⁽³⁵⁾ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ بَيْنِ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرِ نَفِيرًا﴾⁽³⁶⁾ وبعد ضياع اليهود وتشتتهم، قدر الله أن يأتي موعد علوهم في المرة الثانية، فأعاد لهم الغلبة على أعدائهم، وأمدهم بأموالٍ ودعّم من عدة جهات وكذلك بأبناء إذ كثر عدد المهاجرين إلى فلسطين، وجعلهم الله أكثر نفيراً، والنفير هي قوة العناد

والهبة العسكرية كما يعتقد بعض المفسرين، وهذا ما ينطبق الآن عليهم ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيْسُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبُرُوا مَا عَلَوُا تَتْبِرًا﴾ (37).

وهذا يعني أنه إذا جاء موعد المرّة الثانية التي تفسدون فيها، وهي في رأي كثير من المفسرين، فسادهم الحالي، وعلوّهم الحالي، بعث الله عليكم من يخزي وجوهكم، ويدخل المسجد الأقصى، ويدمركم تدميرا.

ويلاحظ أنه عندما تحدّث سبحانه وتعالى عن المرّة الثانية ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾، استخدم أفعال ليسوعوا، وليدخلوا، وليتبروا، ليدل على أنه يواصل الحديث عن الذين جاءوا أول مرّة، وبما أنهم في المرّة الأولى قدموا من العراق، فهذا يدل على أنهم سيعودون لتدميرهم في المرّة الثانية ومن نفس موطنهم العراق (38).

وإنّ الإمكانات الحضارية والبشرية التي يتمتع بها العراق، والتوجّه الإيماني الواضح نحو الالتزام بالإسلام، تبشّر بذلك على الرّغم من الظروف الحالية الصعبة التي خلقها الغزو، وعلى الرّغم من التّفوق الحالي لقوى الكفر في العالم.

فقد بشّر الرسول ﷺ أصحابه، بأنهم سوف يفتحون الشام وبلاد فارس أثناء تعرضه لهجوم الأحزاب الذين أرادوا من خلاله أن يستأصلوا الإسلام (39)، فصدّق المؤمنون، وكذب المنافقون، وسخروا وقالوا: كان محمدٌ يعدنا إنّ نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط (40)، ثم حقق الله وعده، ونصر جنده في بضع سنين.

المبحث الثاني

العداء اليهودي للإسلام والمسلمين

كما تصوره السيرة النبوية

عادى اليهود الرسول ﷺ، مع أنهم كانوا يبشرون به، ويتوعدون العرب المشركين، أنهم سوف يؤمنون به وينصرونه، ويقتلونهم قتل عادٍ وإرم (41).

يقول محمد بن إسحاق في رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ، قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم معاذ بن جبل: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ، ونحن أهل الشرك، وتخبروننا بأنه مبعوثٌ وتصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء عرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم (42) فأنزل الله في ذلك ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (43) وجاء على لسان مخيريق اليهودي أنه استنفر اليهود يوم أحد بقوله: يا معشر يهود، والله لقد علمتم إن نصر محمدٍ عليكم لحق (44).

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبدالله بن سلام: أتعرف محمدًا كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه (45) ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (46) واقترح سيد بني فريضة كعب بن أسد على قومه اثناء محاصرة المسلمين لهم، اقترأ رفضوه، حيث قال لهم: ((نتابع هذا الرجل

ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وإنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم)) (47).

وبذلك يتضح أن كفر اليهود بالإسلام وعدائهم لم يكن شكاً فيه، وإنما تكبراً وحسداً ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (48)؛ ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (49).

ومع هذا العناد والتكذيب، أحسن الرسول ﷺ إلى اليهود، ورضي أن يبقوا معه في المدينة، محافظين على دينهم، وأموالهم، وأدخلهم معه في عهد، وأعطاهم حقوقاً، وأوجب عليهم واجباتٍ حيث جاء في نص الوثيقة التي كتبها بين المهاجرين والأنصار عند دخوله المدينة ((وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليتهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ (50) إلا نفسه وأهل بيته. وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني ساعدة مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني جُشم مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني الأوس مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني ثعلبة مثل ما لليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشطيبة مثل ما لليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم وإنه لا يخرج منهم أحد إلا باذن محمد ﷺ، وإنه لا ينجز على ثار جرح، وإنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا. وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم وإنه لم يأتهم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم. وإن اليهود ينفقون مع

المؤمنين ما داموا محاربين.. وإنَّ يهود الأوس مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة.. وإنَّه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم وإنَّ الله جار لمن برَّ واتقى ومحمدٌ رسولُ الله ﷺ (51).

وعلى الرغم من هذا الإحسان لليهود، فإنَّهم نكثوا عهدهم مع الرسول ﷺ، مظهرين العداة الذي تُكثُّه نفوسهم للمسلمين، وجاء أولُ غدرٍ لهم من بني يهودِ بني قينقاع، حيث يروي ابن إسحاق هذه الحادثة بقوله: إنَّ امرأةً من العربِ قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغٍ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرفِ ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت وصاحت، فضحكوا بها، فوثب رجلٌ من المسلمين فقتل اليهودي وتواثب اليهود فقتلوا المسلم، فغضب المسلمون فوقع الشرُّ بينهم وبين بني قينقاع (52).

وتصرَّف الرسول ﷺ بحزمٍ مع يهودِ بني قينقاع، حيث توجَّه إلى ديارهم، وفرض عليهم الحصار خمس عشرة ليلة، ثم نزلوا على حكمه (53)، فأمرهم بالجلء عن المدينة في شوال سنة اثنتين للهجرة (54)، ولولا تدخل زعيم المنافقين عبدالله بن أبي سلول (55) لفعل ما فعل وتكرَّرت خيانة اليهود للمواثيق، وتكرَّر الحزم من رسولِ الله ﷺ، فقد ذهب كعب بن الأشرف اليهودي إلى كفَّارِ قريشِ مواسياً بعد هزيمتهم في بدرٍ ومحرَّضاً إياهم على الثأر من رسولِ الله ﷺ، وأصحابه، ولم يكتفِ بذلك، بل رجع إلى المدينة، واخذ يُشَبِّبُ بناء المسلمين، فاتخذ ﷺ قراراً بقتله، وهو بهذا يُعَلِّم المؤمنين في كلِّ العصورِ الأسلوبِ الناجع مع اليهود، حيث قال ﷺ: ((من لي باين الأشرف، فقال له محمد بن مسلمة، أخو بني عبد الأشهل أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله، قال: فافعل إن قدرت على ذلك، وتمَّ قتله فعلاً على يد عدد من الصحابة)) (56).

ويتواصل عداة اليهود للإسلام فيتآمرون على قتلِ رسولِ الله ﷺ، واستغلَّوا فرصة قدومه إلى بني النضير يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر قتلهما عمرو بن أمية الضمريّ خطأً، وقالوا لبعضهم البعض ((إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه،

ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمرو وعلي رضوان الله عليهم. فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء، بما أراد القوم بإلقاء حجر عليه وقتله، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسأله عنه، فقال: رأيته داخلًا المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ، فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به (57).

ولم يغفر الرسول ﷺ لليهود خيانتهم هذه، لأن ربه ﷻ علمه أنهم قوم لا خير فيهم ولا رجاء فهم أشد أعداء المؤمنين، وأن بقوا في المدينة فسيواصلون كيدهم ومكرهم وسيترصدون به الدوائر.

لقد أمر ﷺ أصحابه بالسَّير إليهم، وحاصرهم ست ليالٍ إلى أن قذف الله الرعب في قلوبهم، وسألوا رسولا الله ﷺ أن يُجْلِيَهُمْ وَيُكْفَّ عَنْ دِمَائِهِمْ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعل، وخصَّ المدينة من شرهم (58).

ولم ينته شر بني النضير وأذاهم بخروجهم من المدينة، حيث توجه عددٌ من زعمائهم إلى مكة والطائف، وحرَّضوا المشركين على قتال محمدٍ، واستتصاليه، ووعدوهم بالمساعدة (59).

فكانوا هم الذين حزَّبوا الأحزاب، وتَسَبَّبوا في الهجوم الكبير الذي شنته القبائل العربية المشتركة على المسلمين، ومن هؤلاء اليهود سلام بن أبي الحقيق النَّضري، وحُيَّ بن أخطب النَّضري، وكنانة بن أبي الحقيق النَّضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمَّار الوائلي (60).

ولم يتعظ يهود بني قريظة بما حصل لإخوانهم نتيجة الغدر ونقض العهود، إذ جاءهم حُيَّ بن أخطب، وتمكَّن من إقناع كعب بن أسد بالسَّير معه في ركب الخيانة (61). وأظهر بنو قريظة هذا الغدر أثناء هجوم الأحزاب على المدينة، حيث

قالوا لوفد رسول الله ﷺ إليهم: ((لا عهدَ بيننا وبين محمدٍ، ولا عقد، ونالوا من رسول الله ﷺ)) (62).

وعندما أفشل الله ﷺ هذا الهجوم الكبير الذي دبّره اليهود، عاد رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة، فجاءه جبريلُ السليمان، معتجراً بعمامة من إستبرق على بغلةٍ عليها رحالة، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوقدْ وَضَعْتَ السلاحَ يارسول الله؟ قال نعم. فقال جبريل: فما وضعت الملائكةُ السلاحَ بعد، وما رجعتُ الآن إلا من طلبِ القوم إنَّ الله ﷻ يأمرُك يا مُحَمَّدُ بالسَّيرِ إلى بني قريضة فإنِّي عامدٌ إليهم فمزلزلٌ بهم (63)، فالأمر بقتالِ ناكثي العهدِ جاء مباشرةً من الله تعالى، ولم يُردِّ سبحانه لرسوله وللمؤمنين الذين يفتدون به في كلِّ زمانٍ ومكانٍ أن يتباطأوا أو يؤجلوا قتالهم.

لقد انطلقت جحافلُ الإيمان تُنفذُ أمرَ الله ورسوله، ووصلت إلى مساكن بني قريضة، فاخترأوا كعادتهم في حصونهم ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (64). وحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة (65)، حتى جهدهم الحصار،

وقذف الله في قلوبهم الرُّعب، فأنزَلوا شاس بن قيس، فكلم رسول الله ﷺ، أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النَّضير، من تركِ الأموالِ والحلقةِ والخروجِ بالنساءِ والذراري، وما حملت الإبلُ إلا الحلقة، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه، فعاد شاسُ إليهم بذلك (66).

لقد تدرج رسول الله ﷺ، في الشدَّة مع بعض القبائل اليهودية، لعلَّ غيرهم يتعظُّ ويكفَّ عن عدائه ويُسلم، لكنَّهم لم يفعلوا، بل واصل بنو النَّضير الذين حقن دماءهم العداة وتسببوا في أكبر هجمةٍ للشركِ على المسلمين، وهو في هذه المرَّة لن يتهاون، وسيجعل تصرُّفه معهم تشريعاً في كيفية التعامل مع اليهود، يتوجَّبُ الالتزام به.

((قَلَمًا بَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، غير منصرفٍ عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارضٌ عليكم خلافاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم. قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم إنَّه لنبيُّ مرسل، وإنَّه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم.

قالوا: لا نفارق حكم التوارية أبداً، ولا نستبدلُ به غيره. قال: فإذا أبيتم على هذه فهلّم فلنقل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف، لم نترك وراعنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراعنا نسلاً نخشى عليه، وإنّ نظر فلعمري لنجدن النساء والأبناء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم؟ قال: فانزّلوا علينا نُصيبُ من محمد وأصحابه غزّةً. قالوا: نفسدُ سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يُحدث من كان قبلنا إلا من قد عملت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ. قال: ما بات رجلٌ منكم منذ ولدت أمه ليلةً واحدةً من الدهر حازماً⁽⁶⁷⁾.

ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتركهم لسعد بن معاذ سيد الأوس، يحكم فيهم بما شاء، وكان الأوس في تحالفٍ قبل الإسلام مع بني قريضة، فأخذ بعضهم يقول لسعد الذي أصابه اليهود بجرح أثناء الحصار، يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنّما ولّاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: ((لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم)) فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم. فقاموا إليه. فقالوا: يا أبا عمرو، إنّ رسول الله ﷺ، قد ولّاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أنّ تحكم فيهم لما حكمتُ؟ قالوا نعم. قال: وعلى من هاهنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له. فقال رسول الله ﷺ نعم. قال سعد: فإني أحكم فيهم أنّ تُقتل الرجال وتقسّم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء. فقال رسول الله ﷺ: [لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة]⁽⁶⁸⁾.

ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث⁽⁶⁹⁾، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يُخرج بهم إليه أرسالا، وفيهم عدو الله حِيّ بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبع مائة، والمكثّر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهبُ بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطنٍ لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنّه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل. فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم

رسول الله ﷺ، وأتى بحيي بن أخطب عدو الله، وعليه حلّة له فتاحيّة قد شقّها عليه من كلّ ناحية قدر أنمله، لئلا يُسلبها، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل. فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ملّمت نفسي في عداوتك، ولكن من يخذل الله يخذل، ثم اقبل على الناس فقال: يا أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة، كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه (70). ولم يقتل من نسائهم سوى امرأة واحدة (71) كانت قد قتلت أحد الصحابة برحى ألقته عليه، أما الغلمان غير البالغين فقد أطلق سراحهم (72).

وهكذا نال اليهود الجزاء الذي يستحقونه، على كفرهم وغدرهم وخيانتهم، وكان القتل هو الحكم العادل الذي قرره الله تبارك وتعالى فيهم من فوق سبع سموات.

وتعرض الرسول ﷺ لمحاولة اغتيال يهودية ثانية، فبعد أن مكّنه الله من فتح خيبر واطمأن فيها ((أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، شاةً مصلية، وقد سألت أيّ عضو من الشاة أحبّ إلى رسول الله ﷺ، فقبل لها الذراع، فأكثر فيه من السم ثم سمت سائر الشاة بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، لقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فاما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم.

ثم دعا بها فاعتزمت: فقال ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل (73).

وتوجد رواية تشير إلى أن الرسول ﷺ، ظلّ يُعاني من أثر هذا السم إلى أن توفاه الله. وفي ذلك يقول: الإمام الحافظ أبي عبدالله بن القيم الجوزي: ((وبقي بعد ذلك ثلاث سنين، حتى قال في وجعه الذي مات فيه: ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر، فهذا أو أن انقطاع الابهريّ، قال الزهري: فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً (74).

ويعترف يوسف بن إسماعيل بن نعلزله اليهودي بهذه الجريمة التي اقترفها أجداده، ويتباهى في رسالة بعث بها إلى أهل غرناطة الذين ثاروا على أبيه وقتلوه نتيجة لاضطهادهم عندما كان وزيراً لملكها باديس بن حبوس، وقد تم قتله سنة 465هـ (75).

وكانت تلك الرسالة على شكل قصيدة طويلة، جاء فيها:-

أيها الغادون هلاً وفيتم وفديتم شبه الذبيح الذبيحا
 إن يكن قتلكم دون ذنب قد قتلنا من قبل ذاك المسيحا
 ونبياً من هاشمٍ قد سمّمنا خرّ من أكلة الذراعٍ طريحاً⁽⁷⁶⁾

هذا، ويتواصل العداة اليهودي للإسلام والمسلمين بعد وفاة النبي ﷺ، أخذاً صوراً وأشكالا مختلفة ن ومؤدياً إلى نتائج جدّ خطيرة ما زال المسلمون يعانون منها أشد المعاناة.

المبحث الثالث

العداء اليهودي للإسلام والمسلمين

بعد وفاة النبي ﷺ

لقد ظنَّ المسلمون في صدر الإسلام أنهم في مأمن من شرور اليهودِ ومكرهم، بعد أن أخرجوهم من المدينة ومن شبه جزيرة العرب، وعاملوهم بحسن نية، طمعاً في إسلامهم، وثقةً بأنفسهم ودينهم - الذي أثر في كلِّ الأمم التي تعاملوا معها، فأحبوه واعتنقوه - واستخفافاً بقدرتهم على الكيدِ وهم قلةٌ متفرقةٌ في الأرض.

لكنَّ اليهود الذين يملأُ الحقدُ قلوبهم لم يكفوا عن كيدهم، وعدائهم، ولجأوا الى أساليب خسيصةٍ، للثبيل من هذا الدين، ويُعبَّر عن حقدهم هذا ما جاء في سفرِ حازوچار ((يا أبناء إسرائيل اعلموا أننا لن نفي محمداً حقاً من العقوبة التي يستحقها، حتى ولو سلقناه في قدرٍ طافح بالأقدارِ وألقينا عظامه النَّخرة إلى الكلاب المسعورة، لتعود كما كانت نفايات كلاب، لأنه أهاننا، وأرغم خيرة أبنائنا، وأنصارنا على اعتناق بدعته الكاذبة، وقضى على أعزِّ آمالنا في الوجود، ولذا يجب عليكم أن تلغوه في صولاتكم المباركة أيام السبت، وليكن مقره في جهنم وبئس المصير)) (77).

والأسلوبُ الذي لجأ إليه اليهودُ، هو التظاهر باعتناق الإسلام، ثمَّ محاربتة من الداخل، وأبرزُ شخصيةٍ يهودية لعبت دوراً تدميراً في تاريخ المسلمين هو عبدالله بن سبأ، هذا اليهودي اليمني الذي جاء إلى المدينة من اليمن مدعياً الإسلام، وأخذ يتفقه على يد فقهاءها إلى أن تعلَّم ما يعنيه على الكيدِ، وما يزيدُ الثقةَ فيه، ثمَّ بدأ في تنفيذِ مخطَّطِ التخريبِ اليهودي.

ونظر لعظم الدورِ الذي قام به هذا اليهودي في الفتنةِ الكبرى فإنَّ بعض المؤرخين المحدثين أنكروا وجوده، وظنَّوه شخصيةً أسطوريةً وهميةً، اختلقها بعض الرواة لبيروا أخطاء الصحابة رضوان الله عليهم، ومنازعاتهم. ولو علم هؤلاء أن

ابن سبأ لم يكن وحده ضدَّ المسلمين في هذه المعركة، وإنما هو أحدُ أفرادِ تنظيمٍ تخريبيٍّ ينتشرُ في مصر والعراق والحجاز يدَّعي أفرادَه الإسلام، ويخططون بدهاءٍ للتخريب، والإفساد الذي يتقنون فنَّه، من تجاربهم الطويلة في هذا المجالِ عبر التاريخ، لو علم هؤلاء ذلك، لما تعجَّلوا في إنكارِ هذه الشخصية.

والذي يحملنا على هذا الظنِّ، روايات موضوع الفتنة التي سأعرضها بشيءٍ من التفصيل فيما بعد ثم الاطلاع على التاريخ القديم لليهود، والذي يبيِّن أنَّ لهم مجلساً يُسمَّى ((المجلس الكهنوتي الأعلى))⁽⁷⁸⁾ أو السنهدرين⁽⁷⁹⁾، وقد تكوَّن في عهدِ الاحتلال اليوناني لفلسطين، وظلَّ يعملُ ويديرُ شؤون اليهود في العالم في كلِّ العصور⁽⁸⁰⁾، وهو يتكوَّن من فريقين عمل، فريق من الأخبارِ يختصُّ بالشؤون الدينية وفريق من الأثرياء يختصون بالشؤون الدنيوية، ويسمى أيضاً بالسنهدرين⁽⁸¹⁾، يقول س. ناجي ((لقد أجمع النقاد على أن عضوية هذا المجلس، كانت في البداية وفقاً على النبلاء، ورجال الدين (Sacerdotul) أي على من عرفوا بأصالة العرق، وكان يرأسه الكاهن الأكبر أو الناسي (Nasi)، وينقسم إلى ثلاثة لجان، وهي اللجنة التنفيذية والتشريعية ولجنة الحكماء المكونة من صغار الكهنة والكتبة، وحسب بعض المصادر اليهودية، أنَّ هذا المجلس يضمُّ بين أعضائه بعض المثقفين والزعماء السياسيين، ويشمل نفوذه كافة اليهود في العالم، ويعد بمثابة حكومتهم، ومجلسهم النيابي معاً، وتعليماته واجبة التنفيذ على كل يهودي بدون استثناء⁽⁸²⁾.

((والمعروف أنَّ هذا المجلس كان قائماً قبل ظهور الإسلام، وكان يهودُ العالم يدينون له بالولاء منذ عهد اليونان، ويرسلون له ضريبتهم السنوية بانتظام، حتى من أبعد مستعمراتهم، فلا يعقل أن يكون يهود البلاد العربية أقلَّ ولاءً له من الآخرين. وعلى الأخصَّ أنَّهم أقرب جالياته إليه))⁽⁸³⁾.

ومن غير المعقول أن يغفل هذا المجلس عن المنطقة العربية ويهددها ويتركهم دون ان يدير شئونهم خصوصاً وأنها تشهد مبعث نبي كانوا يتوقعونه، ونجاحاً باهراً له، ولأتباعه أو صداماً انتهى بإخراج اليهود من شبه جزيرة العرب بأسرها.

لابد أنه كان وراء محاولات قتل الرسول ﷺ والكيد له، ولا بد أنه وضع الخطط للانتقام وأن عبدالله بن سبأ ما هو إلا أحد أفراد تنظيم سرّي يوجهه هذا المجلس بهدف تدمير هذا الدين والانتقام من المسلمين.

ونحن في هذا العصر أقدر على تصوّر وتفسير مدى الدور الذي لعبه اليهود، من المؤرخين المسلمين السابقين، وذلك لمكانة اليهود الوضيعة في عهدهم، بحيث أنهم كانوا يستبعدون أن تتمكّن شرذمة مهينة مهزومة من صنع أحداثٍ عظيمةٍ تزلزل أركان دولة كبرى.

أمّا نحن الذين توفّرت لنا الوسائل للاطلاع على دورهم الشيطاني في صناعة الحروب العالمية المدمّرة، والتي تذهب ضحيتها عشرات الملايين من البشر، فلا نستغرب ذلك.

وليس غريباً بالنسبة لنا أن يتمكّن أشخاص ادّعوا الإسلام، وتظاهروا بالتقوى أن يكسبوا ثقة عامّة الناس وخاصتهم، ونحن نرى اليوم اليهود وقد تمكّنوا من اختراق أرفع مؤسسات الحكم في امريكا وغيرها، حيث أنّ سبعة من أحد عشر رجلاً يصنعون القرار في أمريكا هم من اليهود، وحيث أن بابا الفاتيكان الحادي عشر (Lipman) الذي أصبح مسؤولاً دينياً لسبعمئة مليون كاثوليكي في العالم، هو ابن اليهودية لييمان (Lipman)، وذلك في العقد الخامس من هذا القرن ؛ وقد ترك خلفه عدداً من اليهود ليس لهم همٌّ إلاّ التقريب بين المسيحية واليهودية⁽⁸⁴⁾، ويبدو أنّ الفضل يعود لخلفائه اليهود المتخفين بالنصرانية في القرار الذي صدر مؤخراً والذي يُبرئ اليهود من دم المسيح عليه السلام⁽⁸⁵⁾.

وقبل الحديث عن دور اليهود في صنع الفتنة الكبرى، نبين الدور الخفي لليهود في قتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث يذكر الطبري أنّه ((جاء كعب الأبحار

إلى أمير المؤمنين عمر، وقال له: إنك ميتٌ بعد ثلاثة أيام، فقال له عمر: وما يدريك؟ قال كعب: أجدّه في كتاب الله ﷺ التوراة، قال عمر: الله إنك لتجدُ عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكني أجدُ صنعتك وحيلتك، وأنه قد فني أجلك قال: وعمر لا يُحسُّ ألماً ولا وجعاً؟ فلماً كان من الغد، جاءه كعب، وأخبره أنه قد ذهب يوم من الثلاثة أيام، وبقي من أجله يومان، ثم جاء في اليوم الآخر، وأخبره أنه لم يبق إلا يوم وليلة إلى صبيحتها ولما كان الصبحُ حدث لعمر ما حدث)) (86).

وعند البحث في شخصية كعب الأخبار نكتشف أنه من يهود اليمن، قدم إلى المدينة وأسلم في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وقد أدخل عدداً كبيراً من الروايات المستمدة من الكتب اليهودية في الروايات الإسلامية وقد عرفت فيما بعد بالإسرائيليات، وقد دار حول صدق إسلامه وما أدخله من روايات يهودية وحول كونه ثقة أو غير ثقة جدلٌ بين أهل الحديث (87).

ويعلق الشيخ الخضري على رواية الطبري السابقة بقوله ((ولو صحَّت هذه الحكاية، وكنْتُ ممن يحقّق هذه القضية، ما تردّدتُ لحظةً في أنّ لكعبٍ يداً في مقتلِ عمر ﷺ، أو أنّه عالمٌ بما تمّ الاتفاق بين المؤتمرين على عمر ﷺ، وربما يقال لو كان كذلك فما يدعو كعب إلى إنباء عمر بهذا النبأ، والجوابُ على ذلك سهلٌ، فإنّه ينال بذلك بين المسلمين مركزاً عظيماً، فإنّ كثيراً منهم يرون بعد ذلك أنّ توراته فيها علمٌ كلّ شيء، وأنّه صادق في كلّ ما يخبر به، فلا يتردد سامعه لحظةً في تصديقه بما يوحي إليه، وكعبٌ هذا ممّن أفاض علينا ثروة من الأخبار الإسرائيلية التي لا ندري حقيقتها، ولا ريب أن فيها شيئاً كثيراً، هو كذبٌ محض لأنّ التوراة بين أيدينا، وليس فيها ما أنبأ ذلك الرجلُ عنه)) (88).

وهناك قولان في كعب الأخبار يمكن أن يستفادَ منهما في هذا الموضوع، حيث استشاره عمر ﷺ عندما أراد أن يبني المسجد في القدس، حيث قال له: أين ترى أن نجعل قبلة المسجد؟ فقال كعب: اجعلها خلف الصخرة فتجمع القبلتين، قبلة موسى، وقبلة

محمد ﷺ، فقال له عمر: ضاهيتُ اليهودَ ياباً إسحاق، خير المساجد مقدمتها، وخالفه، فبنى القبلة في مقدّمة المسجد (89).

وسأل عثمان يوماً، أيجوز للإمام أن يأخذ من المال، فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار، لا بأس بذلك، فقال أبو ذر: يابن اليهوديين أتعلمنا ديننا (90).

ولو كانت هناك ثقة كاملة، ورضاً عن كعب الأحبار، ما خاطبه هذان الصحابيَّان الجليلان بهذه الطريقة والله تعالى اعلم.

وهناك رواية تجعل قتل الخليفة عمر رضي الله عنه حادثاً فردياً، حيث أراد أبو لؤلؤة المجوسي أن ينتقم من عمر الذي رفض أن يُنقِصَ عنه الضريبة التي فرضها عليه المغيرة بن شعبه، ويصعب التصديق بهذه الرواية، إذ من المستبعد أن يُقتل خليفة، حطّم دولة الفرس وهزّ عرش قيصر، واقتطع منه بلاد الشام ومصر، وأزال وجود اليهود من بلاد الحجاز، دون أن يكون وراءه جهاتٌ موتورة لعمر قد خططت لها (91). وقد ذكرت بعض الروايات، أنّ عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قد شاهد أبا لؤلؤة قاتل عمر رضي الله عنه: ومعه جفينة النصراني، والهرمزان، وهم يتهامون فيما بينهم، فلما فاجأهم ارتبكوا، وسقط من بينهم خنجرٌ له رأسان، ونصابه في وسطه، فلما نظر عبدالرحمن الخنجر الذي استعمله أبو لؤلؤة قرّرَ أنّه الخنجر نفسه الذي شاهده قبل وقوع الجريمة بوقت قصير (92).

ويبدو أن هذه الرواية صحيحة، لأنّ ابن عمر اعتمد عليها في أخذ ثأره من الهرمزان وجفينة، وابنة لأبي لؤلؤة. وإذا علمنا أنّ الهرمزان كان سيّداً من سادات الفرس، وأنّ الإسلام قد جرّده من هذه السيادة، وأن جفينة نصراني من نصارى الحيرة المتعصبين، أدركنا عدم استبعاد سعاية هؤلاء في اغتيال أبرز زعماء الإسلام آنذاك (93).

ومن خلال رواية الطبري التي قدّمها بخصوص علم كعب الأحبار بمقتل عمر رضي الله عنه والشكوك التي تدور أصلاً حول صدق إسلامه وكثرة دسّ، ولهجة المخاطبة له

خصوصاً من أبي ذر الذي قال فيه الرسول ﷺ: [ما أظلت السماء، وما أقلت الغبراء
أصدق لهجة من أبي ذر] حيث قال له: [يا ابن اليهوديين اتعلمنا ديننا] ؟ !

نستنتج أنها مؤامرة يهودية مجوسية نصرانية.

وبعد استشهاد عمر رضي الله عنه وتولي عثمان رضي الله عنه الخلافة، وحدث بعض المآخذ على سياسته من قبل بعض الصحابة، استغل اليهود، المندسّون في صفوف المسلمين، والموجودين في مصر والعراق، هذه المعارضة البسيطة، وبدعوا يحرضون أهل هذه البلاد، وبشكل منظم ومدروس، على الثورة على الخليفة عثمان رضي الله عنه، وقد استجاب لتحريضهم بضع مئاتٍ لكلٍ من مصر والعراق.

ومما يدلُّ على وجودِ جهةٍ تثيرُ ثمَّ تُنسّقُ وتنظّمُ، خروج هؤلاء الثائرين من مصر والعراق في موعدٍ واحد. بحيث أنهم التقوا معاً عند أطراف المدينة، حيث جاءهم الخليفة واستمع إليهم وناقشهم وأقنعهم في كلِّ اعتراضاتهم، واستجاب لطلبهم، وهو عزل والي مصر عبدالله بن سعد بن أبي السرح، وتعيين محمد بن أبي بكر الصديق، وأعطاهم كتاباً بذلك لعبدالله بن سعد ⁽⁹⁴⁾.

ورجع المعارضون إلى مصر والعراق راضين، وكلُّ فريقٍ سلك طريقاً مختلفاً، وفوجئ المصريون في الطريق براكبٍ يتعرّض لهم تارةً، ثم يفارقهم تارةً أخرى، وكأنه يحاول أن يُثير شكّهم فيه، عندما سألوه عن حاله أجابهم بأنه رسول الخليفة إلى والي مصر، وأظهر لهم ما حملهم على تفتيشه، فوجدوا معه كتاباً على لسان عثمان رضي الله عنه، مختوماً بخاتم الخليفة يأمرُ فيه عبدالله بن سعد بأن يصلب المصريين إذا وصلوه، أو يقتلهم، أو يقطعَ أيديهم وأرجلهم من خلاف، فعادوا إلى المدينة مغضبين، عازمين على قتل عثمان رضي الله عنه وعندما وصلوا وجدوا وفدَ العراق قد عادَ أيضاً.

وتوجّه الوفدان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقالوا: ألم ترَ عدوّ الله أنه كتب فينا بكذا وكذا، وأنَّ الله قد أحلَّ دمه، وطلبوا أن يقوم معهم إليه، فحاول أن يقنعهم بأنَّ الأمر

مدبّر، حيث سأل وفد العراق عن سبب رجوعهم، ليشككهم في أنّ الجهة التي زورت الكتاب وأرسلته هي الجهة نفسها التي أرسلت إلى الوفد العراقي أن يعود، بحيث أن الوفدين التقيا في الوقت نفسه عنده. وعندما أصرّ على عدم الذهاب معهم قالوا له: فلم كتبت إلينا؟ فأقسم أنه ما كتب إليهم كتاباً قط، فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا ألهذا تقائلون؟ ثم انطلقوا حتى دخلوا على عثمان رضي الله عنه فكلموه فقال لهم: إنما هما اثنتان، أن تقيموا عليّ رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أملت ولا علمت وقد تعلمون أنّ الكتاب يكتب على لسان الرجل، وقد ينقش الخاتم على الخاتم، فكذبوه وقالوا: فقد والله أحلّ الله دمك، ونقضت العهد والميثاق ثم حاصروه وقتلوه ⁽⁹⁵⁾. قاتلهم الله أنى يؤفكون.

وواضح أننا أمام تنظيم يهودي، يزور الكتب والرسائل منذ مدّة على لسان عثمان مرة، وعلى لسان علي بن أبي طالب رضي الله عنهما مرات كثيرة.

وقد تسببت هذه الحادثة الخطيرة بانقسامات وحروب كبيرة في صفوف المسلمين، كان اليهود خلفها يوقدون نارها كلما أطفأها الله، حيث وقعت معركة الجمل ومعركة صفين، وانقسم المسلمون إلى سنّة وشيعّة وخارج.

وقد تعامل المسلمون في العصور الإسلامية المختلفة مع اليهود، بتسامح الإسلام مع أهل الذمة وبالغوا في هذا التسامح، ولم يحذروا من كيدهم كما علمهم الله ورسوله، فتمادى اليهود، وظهروا عداؤهم وكيدهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، حيث يصف لنا المقريزي حال اليهود في عصره نتيجة للمبالغة في التسامح بقوله ((قد تزايد ترفهم بالقاهرة ومصر، وتفنونوا في ركوب الخيل المسومة، والبعلات الرائعة بالحلي الفاخرة، ولبسوا الثياب السريّة، وؤلوا الأعمال الجليّة)) ⁽⁹⁶⁾.

ففي عهد الدولة الفاطمية أصبح لليهود قوة وسطوة، حيث وصل بعضهم إلى أرقى المناصب الإدارية والمالية مثل يعقوب بن كلس الذي أصبح وزيراً للعزير ومنشأ اليهودي

الذي خلفه بعد موته وقد تمادى هؤلاء الوزراء وعمالهم اليهود في ظلم المسلمين والاستهزاء بدينهم حتى ضجَّ الناس بالشكوى وكانت إحدى الشكاوى التي وصلت إلى العزيز من امرأة في مصر تقول ((... بالذي أعزَّ اليهود بمنشأً والنصارى بنسطورس⁽⁹⁷⁾، وأذلَّ المسلمين بك ألا قضيت أمري))⁽⁹⁸⁾.

ويصور المشاعر الحسن بن حالقة أحد الشعراء المعاصرين لهذه الأحداث، حال اليهود، ويدعو المصريين بتهمكُم إلى اليهود بقوله:

يهودُ هذا الزمان قد بلغوا	غاية آمالهم وقد ملكوا
العزُّ فيهم والمال عندهم	ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إني نصحتُ لكم	تهودوا قد تهوّد الفلك ⁽⁹⁹⁾

وفي الأندلس بالغ المسلمون في التسامح مع اليهود حتى سلّموهم بعض المناصب الإدارية مثل إسماعيل بن نقوله اليهودي الذي وصل في عهد حبوس بن باديس حاكم غرناطة إلى أعلى منصب في الدولة، حيث أصبح وزيراً مقرباً من ابن باديس، وقد تمادى اليهود في عهده في ظلم المسلمين، ووصل الاستهتار بالمسلمين، إلى حد أن أعلن ابن نقولة اليهودي أنه سوف يحوّل سور القرآن الكريم إلى قصائد شعرية⁽¹⁰⁰⁾.

فكتب أبو إسحاق الالبيري رسالة شعرية إلى قبيلة صنهاجة البربرية التي ينتسب

إليها ابن باديس يحرضهم على الثورة ضد هذا الوزير اليهودي، جاء فيها:

ألا قل لصنهاجة أجمعين	بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذي مقة مشفق	صحيح النصيحة دنيا ودين
لقد زلّ سيدكم زلة	أقرّ بها أعين الشاقين
تخيّر كاتبه كافراً	ولو شاء كان من المؤمنين
فعرّ اليهود به وانتموا	وسادوا وتاهوا على المسلمين ⁽¹⁰¹⁾

فثار أهل غرناطة على هذا الوزير وقتلوه.

وفي الوقت الذي تمتع فيه اليهود بالحريّة والتسامح في مختلف الدول والعصور الإسلامية، نجدهم يتعرّضون للاضطهاد في دول أخرى غير إسلامية.

حيث أجبرهم القوط في الأندلس قبل الفتح الإسلامي لها على التنصّر، وعندما لاحظوا كذبهم ومراوغتهم وعدم صدقهم في التنصّر، أخذوا منهم أبناءهم الذين يصلون الى سن السابعة وسلّموهم لرهبانٍ في الكنائس الكاثوليكية حتى يلقونهم الدين النصراني منذ الصغر⁽¹⁰²⁾.

وقد تعرّضوا في العصور الرومانية المختلفة إلى مذابح جماعية، ثم طردهم هادريان من القدس سنة 135 م وحرّم عليهم دخولها أو النظر إليها من بعيد⁽¹⁰³⁾.

ولم تكن هذه الشدّة من قبل الرومان معهم إلا نتيجة لما افترضته أيديهم، فمن مبادئهم التي كتبوها بأيديهم ما جاء في التلمود ((الفرق بين درجة الإنسان والحيوان، كالفرق بين اليهود وبقية الشعوب))⁽¹⁰⁴⁾ ويروى أن أحد اليهود تحت الحكم الروماني لقرطاجة قد حمل صورة كاريكاتورية للمسيح في ثوب فضفاضة، وأقدام ظلفاء، يحمل كتاباً، وقد كتب بجانب الرسم ((ربُّ المسيحيين ينام مع الحمير))⁽¹⁰⁵⁾.

وفي إحدى ثوراتهم على الرومان سنة 115م، والتي حدثت في منطقة برقة قام اليهود حسب وصف المؤرخ الروماني ديون كاسيوس (Dion Cassius) يأكل لحوم قتلاهم وجعل أمعائهم أحزمة يتمنطقون بها، وقاموا بسلخ جلودهم واتخاذها ملابس لهم، وعمدوا إلى كثير منهم فشطروهم شطرين من رأسهم إلى أسفل، كما ألقوا بآخرين إلى الوحوش المفترسة، وأرغموا الكثيرين على مصارعة بعضهم بعضاً، حتى بلغ عدد قتلاهم من الرومان والإغريق في تلك المنطقة اثنين وعشرين ألف نسمة⁽¹⁰⁶⁾.

واستمرّت ردّات فعل النصارى على سوء اليهود في مختلف العصور، فعندما احتلّ الصليبيون بيت المقدس، جمعوا يهود المدينة وأحرقوهم أحياء⁽¹⁰⁷⁾.

وقامت بريطانيا بطردهم في أول القرن السادس للميلاد، ومنعت دخولهم إليها مدة ثلاثة قرون.

وقامت فرنسا في عهد لويس التاسع عشر بطردهم وحرقت تلمودهم، وطردتهم أسبانيا منها سنة 1492م. وقامت روسيا القيصرية بعدة مذابح ضدهم بعد أن حاولوا قتل قيصرها (108).

أما ألمانيا فلا يخفى على أحد ما فعلته بهم في عهد هتلر.

وبعد التعرف على كيفية تعامل النصارى مع اليهود، وكيفية إكرام المسلمين لهم، نرى بأن المسلمين في العصور الماضية قد تهادوا في المبالغة في التسامح مع اليهود، وفي استخدامهم في مناصب الدولة.

فالأصل أن يبقى هؤلاء يعيشون في صغار كما أراد الله ﷻ من خلال قوله ﷻ ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (109).

ولدينا إشارات إلى قيام الخليفة عمر بن عبدالعزيز ﷺ (99-101هـ) بتصحيح أخطاء من قبله وعزل أهل الذمة من مناصبهم، واستبدالهم بمسلمين (110).

وقد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية، حول الاستعانة باليهود والنصارى بقوله: ((وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين، أو حصونهم، أو جندهم فإنه من الكبائر، وهو بمنزلة من يستخدم الذئب لرعي الغنم، فإنهم أغش الناس للمسلمين، ولولاة أمورهم، وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة، وعلى تسليم الحصون إلى عدو المسلمين، وعلى إفساد الجند على ولي الأمر وإخراجهم عن طاعته، والواجب على ولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة، فلا يتركون في ثغر ولا في غير ثغر، فإن ضررهم في الثغر أشد)) (111).

ومن المهم أن ندرس تجاربنا ونقرّر أخطائنا، ونستفيد منها، خصوصاً أننا على ثقةٍ وبقين من أننا كأمة مسلمة سنعود إلى قيادة العالم من جديد ويعود اليهود كما كانوا أهل ذمّة تحت حكمنا.

قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
 كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ
 مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (112).

الخاتمة وأهم النتائج

أحمد الله تعالى الذي أعانني على إتمام هذا البحث، الذي أفدّت منه كثيراً، وتوصلت من خلاله إلى نتائج عدة أهمها:

- 1- إنّ الأنبياء جميعاً مسلمون، ودينهم واحد هو الإسلام.
- 2- إنّ عداة اليهود للإسلام والمسلمين قديم، لم يبدأ من بعثة محمد ﷺ، وإنما بدأ منذ عهد أبيهم يعقوب الكليلي، واستمرّ إلى يومنا هذا، وسوف يستمرّ إلى قيام الساعة.
- 3- إنّ سبب كفر اليهود بالإسلام، وعدائهم له، ليس شكاً فيه، أو تكذيباً لرسوله، وإنما حسداً للعرب الذين اصطفاهم الله بهذه الرسالة، وتكبّراً مصدره اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار.
- 4- إنّ لليهود صفات متأصلة في نفوسهم، يتوارثونها، تسببت في عدائهم للمسلمين، ولكلّ الشعوب التي خالطوها، وأهمها الحسد والجشع والكبر والجدال والحرص على الحياة والغدر ونقض العهود.
- 5- إنّ رسول الله ﷺ استشهد متأثراً بالسّم الذي وضعه له اليهود في الطعام بعد فتح خيبر.
- 6- إنّ لليهود يداً في قتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- 7- إنّ تنظيمياً يهودياً سرّياً أعضاء يهوداً أظهروا الإسلام كان وراء قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، وما أعقب ذلك من فتن، وأنّ هؤلاء كانوا يوجهون من أعلى مؤسسة يهودية عالمية، هي المجلس الكهنوتي الأعلى، بهدف تدمير الإسلام من الداخل.
- 8- إنّ عبدالله بن سبأ هو أحد الذين عُرفوا من أعضاء هذا التنظيم اليهودي، ولم يُعرف لعدد كبير من الرواة، لحرصه على التخفي.
- 9- إنّ كعب الأبحار الذي كان مقرباً من كبار الصحابة، شخص "مشكوك" في صدقه وولائه، وقد يكون أحد الذين لعبوا دوراً خفياً في قتل الخليفة عمر رضي الله عنه وتشويه الإسلام، وشخصيته بحاجة إلى دراسة علمية جادة.
- 10- إنّ المسلمين بالغوا في التسامح مع اليهود في عدد من الدول الإسلامية، ومكّنوهم من الاستعلاء والكيد للمسلمين.

الهوامش

- (1) سورة آل عمران، آية 67.
- (2) سورة البقرة، آية 130-133.
- (3) سورة يوسف، آية 101.
- (4) سورة يونس، آية 84.
- (5) سورة النمل، آية 29، 30، 31.
- (6) سورة النمل، آية 44.
- (7) سورة آل عمران، آية 52.
- (8) سورة البقرة، آية 140.
- (9) سورة المائدة، آية 48.
- (10) سورة يوسف، آية 8، 9.
- (11) سورة يوسف، آية 16-18.
- (12) سورة يوسف، آية 77.
- (13) د. احمد سوسة، المفصل في تاريخ العرب واليهود، دار الحرية للطباعة، ط5، 1980، ص749.
- (14) سورة البقرة، آية 49.
- (15) سورة الاعراف، آية 138.
- (16) سورة البقرة، آية 211.
- (17) سورة الاعراف، آية 167.
- (18) سورة آل عمران، آية 21.
- (19) سورة آل عمران، آية 112.
- (20) سورة المائدة، آية 13.
- (21) سورة المائدة، آية 78.
- (22) سورة المائدة، من الآية 82.
- (23) ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، 1973 م، ص1، ص88 (سيشار إليه فيما بعد: مختصر تفسير ابن كثير).

- (24) الظل: جمع ظله، وهي في الأصل السحابة، فاستعارها هاهنا لتغير وجه النبي ﷺ، ابن هشام، محمد بن عبد الملك سيرة النبي ﷺ مراجعة وضبط وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة (ب.ت) ج 2، ص 428.
- (25) المقصود بالأحمر والسود العجم والعرب. أنظر: مختصر سيرة ابن هشام، ص 133
- (26) ابن هشام، سيرة النبي محمد ﷺ، ج 2، ص 428.
- (27) سورة المائدة، آية 51-52.
- (28) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج 2، ص 429.
- (29) سورة المائدة، آية 56.
- (30) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج 3، ص 192.
- (31) سورة الحشر، آية 11-12؛ أنظر الطبري، محمد بن جرير، جامع لبيان عن تأويل أي القرآن، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 2، 1373هـ/ 1954م، ج 27، ص 47 (سيشار إليه فيما بعد، الطبري، جامع البيان).
- (32) سورة الاسراء، آية 4.
- (33) الطبري، جامع البيان، ج 15، ص 20-23.
- (34) سورة الاسراء، آية 5.
- (35) أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص 751.
- (36) سورة الاسراء، آية 6.
- (37) سورة الاسراء، آية 7.
- (38) الشيخ سعيد حوى، الأساس في التفسير، تفسير سورة الاسراء (من قراءة سابقة في هذا التفسير ولم أعر عليه حتى اكمل التوثيق).
- (39) ابن هشام، سيرة النبي محمد ﷺ، ج 3، ص 234، 235.
- (40) المصدر نفسه، ج 3، ص 238.
- (41) مختصر تفسير ابن كثير، م 1، ص 88.
- (42) المصدر نفسه، م 1، ص 88.
- (43) سورة البقرة، آية 89.
- (44) ابن هشام سيرة النبي ﷺ، ج 3، ص 38.
- (45) مختصر تفسير ابن كثير، ج 13، ص 139.
- (46) سورة البقرة، آية 146.
- (47) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج 3، ص 254.

- (48) سورة البقرة، آية 109.
- (49) سورة البقرة، آية 105.
- (50) يوتغ: يهلك، أنظر محمد عفيف الزعبي، مختصر سيرة ابن هشام، مؤسسة النفائس، ط1، 1977م، ص 107.
- (51) مختصر سيرة ابن هشام، ص 107، 108.
- (52) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج2، ص 561، والواقدي، محمد بن عمر، المغازي، تحقيق: مارسدن جونز، بيروت، عالم الكتب، 1964، ج1/176-177، وابن كثير، عماد الدين ابي الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملح وأخريين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، 1405 هـ / 1985م، ج3/4-4، وابن سيد الناس، محمد بن عبدالله بن يحيى، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، بيروت، مؤسسة عزالدين، 1986، ج1/295.
- (53) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج2، ص 562.
- (54) الواقدي، المغازي، ج1/176-177، وابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت، دار راصد، 1960، ص 2-27.
- (55) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج2/562.
- (56) مختصر سيرة ابن هشام، محمد الزعبي، ص 134-135.
- (57) ابن هشام، سيرة النبي محمد ﷺ: ج3، ص 191، 192، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، ط1، بعناية عزت عبيد الدعاس، نشر دار الحديث، بيروت، 1388 هـ / 1969م، ج3/404-407.
- (58) ابن هشام، سيرة النبي محمد ﷺ: ج3، ص 192، 193، ابن حجر، العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، فتح الباري، ط1، المطبعة الخيرية، القاهرة، 1319-1329.
- (59) ابن هشام، سيرة النبي محمد ﷺ، ج3، ص 229.
- (60) المصدر نفسه، ج3، ص 230.
- (61) المصدر نفسه، ج3، ص 236.
- (62) المصدر نفسه، ج3، ص 237.
- (63) المصدر نفسه، ج3، ص 252.
- (64) سورة الحشر، آية 14.

- (65) الطبري، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، 1961، 583/2، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، جوامع السيرة، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد، القاهرة، دار المعارف (ب.ت)، ص193.
- (66) مختصر سيرة ابن هشام، ص167.
- (67) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج3، ص254، 255.
- (68) ابن هشام، ج3، ص258، 259، البخاري، محمد بن اسماعيل، الصحيح، ط، المكتبة الإسلامية باستنبول، ص120/2، 24-25/3، مسلم، ابن الحجاج، الصحيح تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار احياء الكتب العربية، مصر، 1374-1375، ص160/5-161.
- (69) أسمها كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس، أنظر: مختصر تفسير ابن كثير، ص178.
- (70) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج2، ص260.
- (71) أحمد بن حنبل، المسند، نشر المكتب الاسلامي، بيروت، (ب.ت)، ص277/6، أبو داود، السنن 250/2.
- (72) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج3، ص389، 390، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2/ص76-77.
- (73) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج3، ص389.
- (74) ابن القيم الجوزي، زاد المعاد، في هدي خير العباد، دار الفكر، ط2، 1394 هـ / 1972 م، ج2، ص2139، 140.
- (75) ابن الخطيب، لسان الدين، اعمال الاعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار الفكر المكتشف، ط2، بيروت، 1956 م، ص233.
- (76) أبو محمد الحجازي، وآخرون، المغرب في حلى المغرب، تحقيق د.شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ص115، رقم 427.
- (77) س. ناجي، المفسدون في الارض.. جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ، العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق، ط2، 1973 م، ص123. (هذا النص نقله س. ناجي عن كتاب (C.Atilhan, Islam ve Beni Israil page 209) الذي نقله عن سفر حازوهار بالفرنسية عام 1907 م وسوف يشار له فيما بعد، س. ناجي، المفسدون في الأرض.

- (78) س. ناجين المفسدون في الأرض، ص 123.
- (79) احمد سوسة، المفصل العرب واليهود في التاريخ، ص 333، 334.
- (80) المرجع نفسه، ص 333.
- (81) المرجع نفسه، ص 334.
- (82) س. ناجين المفسدون في الأرض، ص 118، 119.
- (83) المرجع نفسه، ص 128، 129.
- (84) س. ناجي، المفسدون في الأرض، ص 429، 430.
- (85) يقرّر القرآن الكريم أنّ اليهود لم يقتلوا المسيح عليه السلام، وإنما شُبّه لهم شخصٌ من أعدائه أنّه المسيح فقتلوه، لكنّ هذا لا يعفيهم من الجريمة، إذ أنّهم نواوا قتله، وإنما الأعمال بالنيات.
- (86) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج 4، ص 190-191.
- (87) د. صالح دراركة، العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، رسالة دكتوراه، مركز الرسائل الجامعية في الجامعة الأردنية، ص 401، 402.
- (88) محمد فريد بك الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط 8، 1382هـ، ج 1، ص 21.
- (89) الحميري، محمد بن عبدالمنعم، الروض العطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي مع فهرس شاملة، تحقيق: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط 2، 1984م، ص 69.
- (90) البلاذري، احمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، 1400هـ/ 1979م، ص 4، 542.
- (91) دراركة، العلاقات العربية اليهودية، ص 400، 401.
- (92) ابن سعد: الطبقات، ج 3، ص 355.
- (93) المصدر نفسه، ج 3، ص 355.
- (94) الطبري، تاريخ، ج 4، ص 354-355؛ دراركة، العلاقات، ص 406.
- (95) الطبري، تاريخ، ج 4، ص 355، 356.
- (96) نقلا عن قاسم عبده، اليهود في مصر، ص 23، 24.
- (97) نسطورس: هو عيسى بن نسطورس استوزه العزيز بالله احد الافراد الفاطميين في بداية القرن الخامس الهجري. أنظر حسن الزين؛ اهل الكتاب في المجتمع الاسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1402هـ/ 1982م، ص 47، 48.
- (98) قاسم عبده، اليهود في مصر، ص 117.
- (99) المرجع نفسه، ص 11، 12؛ حسن الزين، أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي، ص 47، 48.

- (100) المقري، احمد بن محمد المقري التلمساني، نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ / 1988م، ص322.
- (101) المصدر نفسه، ص322.
- (102) ELIYAHU, ASHTOR, THE JEWS OF MOUSLEM SPAIN, VOLUME1, PP 11-13.
أنيس زكريا النصولي، الدولة الأموية في قرطبة، المطبعة العصرية، بغداد، 1926، ص8، 9
- (103) سوسة، مفصل العرب واليهود، ص754.
- (104) مسعود الكواني، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ص66.
- (105) المرجع نفسه، ص61.
- (106) المرجع نفسه، ص58.
- (107) محمود السمرة، فلسطين الفكر والكلمة: الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1974م، ص10.
- (108) رفيق شاكر المنتشة، السلطان عبدالحميد الثاني وفلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1991م، ص17، 18.
- (109) سورة التوبة، من الآية 29.
- (110) قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980، ص7، 9.
- (111) د. محمد احمد الخطيب، عقيدة الدرور، عرض ونقد، دار عالم الكتب، الرياض، ط3، 1409هـ / 1989م، ص245، 246
- (112) سورة النور، آية 55.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

اولاً: قائمة المصادر العربية:

- 1- البخاري، محمد بن اسماعيل، الصحيح، ط المكتبة الاسلامية باستنبول.
- 2- البلاذري، احمد بن يحيى، انساب الاشراف، تحقيق د. احسان عباس، بيروت، 1400 هـ / 1979 م ق.4
- 3- ابن حجر، العسقلاني، شهاب الدين ابو الفضل، احمد بن علي، فتح الباري، ط، المطبعة الخيرية ن القاهرة، 1319-1329
- 4- ابن حزم، ابو محمد بن احمد بن سعيد، جوامع السيرة، تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتور ناصر الدين الاسد، دار المعارف (ب.ت).
- 5- الحميري، محمد بن عبدالمنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق د. احسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984م.
- 6- ابن حنبل، المسند، نشر المكتب الاسلامي ن بيروت، (ب، ت).
- 7- ابن الخطيب، لسان الدين ، اعمال الاعلام، تحقيق أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، 1956.
- 8- ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني، السنن، ط1، بعناية عزت عبيد الدعاس، نشر دار الحديث، بيروت، 1388 هـ / 1969م.
- 9- ابن سيد الناس، محمد بن عبدالله بن يحيى، عيون الاثر في فنون المغازي والشمائيل والسير، بيروت، مؤسسة عز الدين، 1986م.
- 10- ابن سعد، محمد الطبقات الكبرى، بيروت، دار راصد، 1960.
- 11- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر 1961؛ جامع البيان عن تاويل القران، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، ط2، 1373 هـ / 1954م.

- 12- ابن عذاري، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ج.س كولان، وأ.ليفى بروفنسال.
- 13- ابن القيم الجوزي، زاد المعاد في هدي خير العباد، دار الفكر، ط2، 1392 هـ / 1972م.
- 14- ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل، البداية والنهاية، تحقيق احمد ابو ملحم وآخرين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، 1405 هـ / 1985م ؛ مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، 1973م.
- 15- لسان الدين الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: ليفى بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، 1956م.
- 16- ابو محمد الحجازي وآخرون، المغرب في حلي المغرب، تحقيق: د.شوقي ضيف، دار المعارف بمصر (ب.ت).
- 17- مسلم، ابن الحجاج، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط1، دار احياء الكتب العربية، مصر، 1374-1375.
- 18- المقري، احمد بن محمد المقري التلمساني، نوح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: د. احسان عباسن دار صادر، بيروت، 1408 هـ / 1988م.
- 19- ابن هشام، محمد بن عبدالملك، سيرة النبي محمد ﷺ مراجعة وضبط وتعليق: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة، (ب.ت).
- 20- الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، تحقيقك مارسدن جونس، بيروت، عالم الكتب، 1964م.

ثانيا: قائمة المراجع العربية

- 1- احمد سوسة، المفصل العرب واليهود في التاريخ، دار الحرية للطباعة، ط5، 1980م.
- 2- انيس زكريا النصولي، الدولة الاموية في قرطبة، المطبعة العصرية، بغداد، 1926م.

- 3- حسن الزين، اهل الكتاب في المجتمع الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ/1982م.
- 4- رفيق شاكر الننتشة، السلطان عبدالحميد الثاني وفلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1991م.
- 5- س. ناجي، المفسدون في الارض.. جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ العربي للاعلان والنشر والطباعة، دمشق، ط2، 1973م.
- 6- صالح درادكة، العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، رسالة دكتوراه، مركز الرسائل الجامعية في الجامعة الاردنية.
- 7- قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980م.
- 8- ابو محمد الحجازي، وآخرون، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: د.شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
- 9- محمد احمد الخطيب، عقيدة الدرور، عرض ونقد، دار عالم الكتب، الرياض، ط3، 1409هـ/1989م.
- 10- محمد عفيف الزعبي، مختصر سيرة ابن هشام من مؤسسة النفائس، ط1، 1397هـ/1977م.
- 11- محمد الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط3، 1399هـ.
- 12- محمد فريد بيك الخضري، تاريخ الامم الاسلامية، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط8، 1382هـ.
- 13- محمود السمرة، فلسطين الفكر والكلمة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1974م.
- 14- مسعود الكواني، اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح الى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير، الجزائر، 1990-1991م.

ثالثا: المراجع الانجليزية

ELYAHU ASHTOR, THE JEWS OF MOUSLEM SPAIN, the Jewish publication society of America , philade1ph3 , 1979.